

الفصل: الرابع

وحدة: تاريخ المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء إلى غاية القرن 19

الأستاذة: حميد الفاتحي

المحاضرة رقم: 3

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2020-2021
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة: تاريخ المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: حميد الفاتحي
الفصل الرابع	المحاضرة رقم: 3

ثانيا: الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب وبلاد السودان

ظهر في المصطلحات الغربية الحديثة مصطلح، اعتمده الباحثون وهو "الغرب الإسلامي L'occident Musulman"، ويُعْنَوْنَ به الجناح الغربي من العالم الإسلامي، ويقول عنه ليفي بروفنسال Levi Provençal بأنه ينصرف إلى مجموعة جغرافية بالغة التناسق فيما بينها، وتقع على جانبي غربي البحر المتوسط وتمتد حتى سواحل الأطلنطي وتشمل شمال إفريقيا وشبه جزيرة إيبيريا، ويتضح أنه مصطلح حضاري يوازي مصطلح "المغرب" في استخدام الجغرافيين العرب القدامى¹.

وقد أنتج مسار التطور التاريخي للغرب الإسلامي تقسيمات للشعوب التي استوطنت المنطقة، وأبرزت البنية الاجتماعية الداخلية تقسيما ثنائيا للسكان، فمنهم المستقرون في الممرات والتحصينات التي يمكن اعتبارها نواة لقيام المدن المغربية في العصر الإسلامي، وهؤلاء هم "البرانس". ثم مجموعات الرُّحْل وهم "البُتْر". وارتبط هذا التقسيم بالمؤثرات البيئية الطبيعية والنشاط اليومي للسكان والمؤثرات الناتجة عن التدخلات الخارجية في بلاد المغرب².

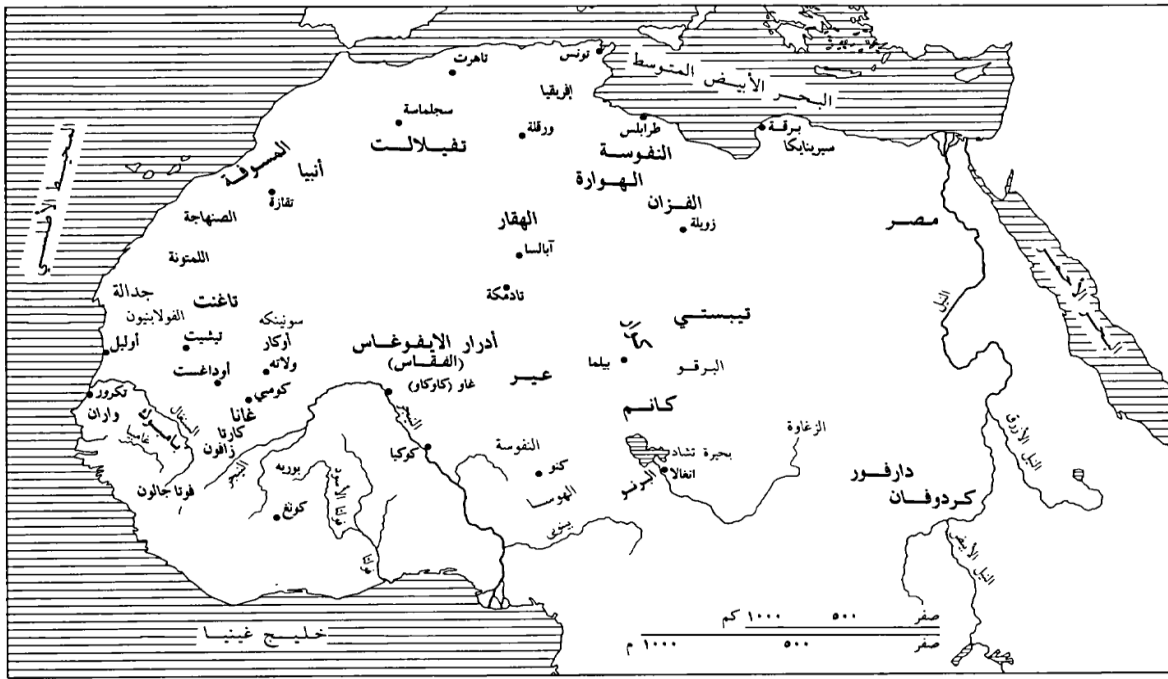
وبالتالي، تشكل النسيج الاجتماعي في بلاد المغرب من البربر، بتقسيماتهم الكبرى كما رأينا سابقا بالإضافة إلى مجموعات بشرية أخرى فَرَضَتْهَا التحولات التي لحقت بالمنطقة؛ ونذكر من هؤلاء: العرب الوافدين عبر هجرات متلاحقة كبني هلال وسليم ومقل وغيرهم، ثم جماعات من السود والحراطين، واليهود... وانتشرت قبائل هواراة إلى جانب صنهاجة اللثام في الصحراء واحتلطوا مع العناصر العربية الوافدة، وبذلك تشكل خليط مع البربر والعرب نتجت عنه "مثقفة" عن طريق التجارة الصحراوية انطلاقا من القرون الهجرية الأولى بحيث اندمج العنصر العربي في اكتشاف القارة الإفريقية³.

وفيما يتعلق ببلاد السودان، فقد تشكلت من أحلاط شتى من العناصر الزنجية القاطنة بين البحر الأحمر شرقا والبحر المحيط غربا، وبين المناطق الصحراوية أو شبه الصحراوية في الشمال وبين نطاقات الغابات الاستوائية جنوبا، ويمكن التمييز بين هذه العناصر، فمن الشرق إلى الغرب توجد شعوب النوبة جنوب مصر، ثم زغاوة

¹ ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار الحياة، بيروت، دبت، صص9-14.
² هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1415هـ / 1995م، صص234-235.
³ نفسه، صص240-241.

وصوصو وكوكو بالسودان الأوسط، أما السودان الغربي فقد سكنه شعب التكرور وأهل غانة المتكونين من عناصر متعددة⁴. والمعروف أن أهم القبائل التي كونت سكان مملكة غانة في العصور الوسطى هم السوننكي وهي من فروع الماندي الأساسية أي من مجموع الشعوب الناطقة بلغة الماندي. وأقام السوننكي في الصحراء، ثم انتقلوا إلى حافتها الجنوبية، وامتزجوا بالبربر والفلولانيين، وهم زراع مرتبطون بالأرض، وتجار مرتبطون بالقوافل الواردة من الشمال⁵.

خريطة رقم 1: شعوب بلاد المغرب وبلاد السودان



المصدر: فرانسوا دي ميديروس، شعوب السودان: تنقل السكان، ضمن تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثالث، إفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، إشراف محمد الفاسي وإ. هريك، منشورات اليونيسكو، بيروت، الطبعة الثانية، 1997م، ص 147.

وحتى لا نجتز ذلك الاضطراب الحاصل في المصادر حول موقع وحدود "بلاد السودان" أو "بلاد التكرور"، فإننا، في الغالب سنتحدث عن العلاقات المغربية مع المجال الممتد فيما بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة التشاد شرقا، شمال نطاق الغابات الاستوائية، وجنوب الصحراء⁶.

⁴ - محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1406هـ / 1985م، ص 279.

⁵ - إبراهيم طرخان، غانة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، العدد 13، 1967م، صص 37-38.

ومن أشهر قبائل السوننكي: سيسي، آل بكري، سيلي، دياي، ساخو، كبا، الدوكوري، نياختي، دياوارا.

⁶ - الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني، ص 59.

وأهم ملاحظات يمكننا تسجيلها في هذا الصدد:

الأولى: لا يمكن إغفال دور الصحراء التي شكلت قنطرة فعالة وصلت بلاد السودان بالعالم الخارجي طوال العصر الوسيط مع امتدادات آخذة في التضائل إلى نهاية القرن التاسع عشر، فمن خلالها وعبرها كانت تمر السلع والأفكار، قبل أن ينقلب المسار في اتجاه البحر مع بداية مرحلة الاكتشافات الجغرافية لإفريقيا وبقية الجهات المجهولة من العالم انطلاقاً من نهاية القرن الخامس عشر⁷.

الثانية: طغيان ظاهرة الانبساط في المنظر الطبيعي لبلاد السودان، حيث لا نجد انكسارات عميقة وواسعة، أو مرتفعات تضاريسية تحجب مناطق بلاد السودان بعضها عن بعض، وأهم المرتفعات نجدها في منطقة "الفوتا جالون Fouta Djallon"، حيث لا تتعدى أعلى قمة 1500م (جبل مالي)، وهذه المنطقة الجبلية التي توجد بالقرب من المحيط الأطلسي، كانت مهمشة سياسياً في تاريخ بلاد السودان خلال العصر الوسيط. والخلاصة التي نصل إليها، أن ظاهرة الانبساط شكلت عاملاً إيجابياً في عملية التواصل بين السودانيي⁸.

الثالثة: تعتبر الشبكة الهيدروغرافية أهم عنصر يكسر المنظر الطبيعي لبلاد السودان الغربي، وتتمثل أساساً في نهرى السينغال والنيجر وروافدهما التي تسري تقريباً في الاتجاهات كلها. وهما معا يصبان في المحيط الأطلسي، يبلغ طول الأول 1790 كلم، أما نهر النيجر، فيصل طوله إلى حوالي 4180 كلم. وقد كان لهما دور بارز في تاريخ بلاد السودان، نظراً لصلاحيتهما للملاحة والصيد، وإمكانية استغلال مياههما في الزراعة⁹.

⁷ - نفسه، ص60.

⁸ - نفسه، الصفحة نفسها.

⁹ - نفسه، الصفحة نفسها.